

إلى الإسلام من جديد

تقديم

هذه سطور سألني أخي فضيلة الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسني وكيل ندوة علماء الهند أن أكتبها ، لتوضع بين يدي فصول كتبها ، لتظهر في مؤلف له يدعو الناس به إلى الاهتداء بهدى الإسلام من جديد ، وقد حرصت على أن تتجاوب هذه السطور على الرغم من إيجازها مع أهداف الكتاب ومقاصده .

أحمد الشرباصي

— ٣ —

ما جاء المسلمون ليزرعوا أو يصنعوا أو يتاجروا أو يملكوا — وإن تكن أمور الحياة الطيبة جزءاً من دعوتهم — بل جاءوا ليأمروا بالمعروف ، وينهوا عن المنكر ، ويؤمنوا بالله ، ويجاهدوا في سبيله ؛ ولذلك كان هتاف الرسول في الأزمنة : « اللهم إني تهلك هذه العصابة لاتعبد في الأرض » .

وتحققت السيادة للمسلمين يوم أقبلوا على ربهم داعين عابدين مستنصرين ؛ ثم ذل الأخلاف لأنهم أعرضوا عن ربهم ، واستجابوا لشهوات الحياة ! . . .

إن القلة الذين صنعوا الأعاجيب في غزوات الإسلام ، وميادين العمل لله ، يستطيعون أن يبعثوا فيكم يأسمة اليوم ، فهل تريدون ؟ . . .

— ٤ —

كانت الدنيا قبل الرسالة المحمدية غابة اقتراس وسوق سلع ، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام فبعثها بعثاً جديداً ، وأعطى الحياة عزتها وكرامتها ، وأعاد الإيمان بالروح والبعث وهدى الساء ؛ وما الأرض بدون الإسلام إلا مدنية بلا روح ، وحياة بلا مبدأ ، وأمة بغير رسالة ؛ وماذا تكون الحياة بدون عقيدة ويقين ؟ . . .

لقد علم الإسلام أتباعه القوة والإقدام والجهاد والإيثار والشهادة وإخلاص النية لله وحده : « لاتدع مع الله إلهاً آخر ، لا إله إلا هو ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم ،

— ١ —

من غار حراء — حيث تعبد الرسول وتحنث ، وحيث هبط سفير الرحمن جبريل بالوحي والتنزيل — انبعث النور الذي أرشد ، والمفتاح الذي فك المغاليق ، والرسول الذي قاد البشرية فأصلحها وأعلاها وأسعدها ؛ ولقد أظلمت المسالك اليوم فهي بحاجة إلى مصباح ، وأغلقت أبواب الخير والحق فهي بحاجة إلى مفتاح ، وتاهت البشرية فهي بحاجة إلى هدى الرسول يحقق لها النجاح والفلاح . . . أفما آن للعالم المعتل أن يطلب الدواء ، من الشريعة الغراء ؛ شريعة صاحب حراء ؟ ! .

— ٢ —

بين العالم وجزيرة العرب تردد مناجيات ، وتتجاوب همسات . . . إن العالم يعتب على الجزيرة انطواءها وتحلفها عن تبعاتها الروحية ، ونسيانها لواجبها العظيم المرجو في الهداية والتذكير ، ويطلب إليها أن تسارع لنجدته من ماديتها الخرقاء وجحيمه المستعر ، فعندها البلسم والدواء ؛ ولقد طال بها الصمت والانطواء .

والجزيرة تحيب العالم معترفة بأنها قصرت بعض التقصير ، وتود لو نالت حظها من نهضة العالم الحديثة الكبرى ، ولكنها تخاف من مادية العالم ، وتخشى أن تظغى عليها بعد أن فتحت أمامها الثغرات ؛ وتناديه راجية ألا يرهقها بماديتها ، فيجرفها التيار وهي العقل الأخير للروح ، وتدعوه أن يسعد نفسه كما سعدت هي من قبل بروحها وهدى عقيدتها .

وإليه ترجعون» فأصبحوا بذلك القوامين على العالم وقد كانوا رعاة البشاء والإبل ! . . .

وإذا كان العالم المنكوب الحائر يريد الخلاص من ظلماته المتكاثفة فليستجب لهتاف الإسلام ، فإنه نور الخالق الهادي في هذا الوجود .

— ٥ —

ليست « الجاهلية » محدودة مقصورة على عصر انقضى ، فذلك عرف محدود ، بل النزاع والصراع موصولان بين الجاهلية والإسلام . . . انتصر الإسلام على الجاهلية انتصاره الرائع يوم استجاب للإسلام أهله ، واعتز بالله وبه متبعوه ، وحرص على فرائض وحدوده معتقوه ؛ ثم عاد المسلمون القهقري ، فرزئوا في جهادهم وفي فضائلهم ، حتى عادت فيهم الجاهلية جذعة حمقاء . . . وليتهم كانوا فيها أعلاما أو رؤوسا — وفي الشر خيار كما يقولون — ولكنهم بعد هذا عبید وأذئاب ؛ ولن يعزوا إلا يوم يكفرون بكل طاغوت ، ويحجذون كل شيطان ، ويؤمنون بالله الواحد القهار . . .

— ٦ —

الجسد بلا روح حماد لا ينفع ، والصورة بلا حقيقتها وهم وخداع ، أو ظل لا يغني ولا يفيد ، وفي الأرض حقائق صغيرة تناع في صور كبيرة فضفاضة ، ومن الواجب أن تسودها حقيقة الإسلام الكبرى ؛ ونحن اليوم في زمن لنا رسوم الإسلام وأشكاله وأقواله ؛ ولكن ليس فينا حقيقته ولا روحه ، وما أكثر مانع له أو نعتفه ، وما أقل مانسجيب له أو نقف فيه ! .

يامسمة اليوم ، ضعوا الإسلام من الداخل لا من الخارج ؛ اجعلوه في القلوب والعقول والعزائم ، لافى الصور والمظاهر ويومئذ تفرحون بنصر الله العلى الكبير ! . . .

— ٧ —

قاتل الله العصبية الحمقاء حيثما كانت ، ولعن الله التفاخر الكاذب أينما وقع ! . . . هذه يونان مثلا ، غرها شعرها وقفها وفلسفتها ، فاستكبرت عن قبول الهدى الحق يأتيها من الشرق أو رمال الصحراء على أيدي الرسل والأنبياء ،

فما أغنى الشعر ولا الفن ولا الفلسفة عنها شيئا ، ولا حقق القوم لهم سعادة ، بل غاصوا في بحار شهواتهم فكانوا من المغرقيين ؛ ومثل اليونان الرومان ، أنفوا أن يقبلوا الهدى من الفقراء فكانوا من الأشقياء ، وكذلك شأن كل مستكبر جبار ، يتعالى عن قبول الصباح الهادي ، لأنه في يد فقير أو غريب ! . . .

ولقد اختار الله رجال الصحراء الأتقياء لسفندوا العالم من الهاوية ، فمن استجاب لهم نجا ، ومن تمرد عليهم هلك أو ذل ؛ ولا يزال الزورق معداً لمن أراد النجاة ! . . .

— ٨ —

لماذا تتابعت النكبات على المسلمين ؟ إن التاريخ أصدق ناطق بالحقائق فاستنبئوه . . . لقد كان العرب قبل الإسلام هملايين الناس ، لا يقيم لهم عند الشعوب ميزان ، فجاء الإسلام فجعلهم الفاتحين السادة القادة ، الذين رفعوا لواء الإسلام في المشرق والمغرب ، مما أدهش وحير وأسر ، لقلّة الزاد والعتاد والعدد في المسلمين ، مع كثرة الأعداء ، وتشعب الأنحاء ، ولقصر الوقت وسرعة التقدم ، وما نجحوا إلا لأنهم أصبحوا رجال دعوة وأصحاب مبدأ ، يعرضون عن الدنيا إلى الآخرة ، ويرضون الله أولا وأخيراً ، ويعملون لهداية العالمين ، بنفوس مؤمنة ، وأرواح تهفو إلى لقاء الله كما يهفو الضال إلى مثواه ؛ فليسوا طلاب شهوة أو مجد ، ولكنهم طلاب يقين وشهادة . . . وما ضعف المسلمون وذلوا إلا يوم فقدوا الإيمان والزهّد والجهاد وحب الشهادة ، ولن يعرفوا طريق العزة إلا باستعادة هذه الصفات ! . . .

— ٩ —

إنما تقوم الحكومات في الأصل لتحكم بالحق والحكمة ، ومن هنا كان اشتقاق اسمها ، ولكن الحكومات تفرقت بها السبل ، فكثير منها صار للجباية وحدها ، تستغل وتجمع وتكبر ظالمة ، فتشيع بذلك روح التمرد والخيانة والإهال ؛ ولقد بعث الله بالإسلام محمداً صلى الله عليه وسلم هاديا لاجيا ، ومقي سبقت الهداية فقد ضمنت الجباية دون أن تقصد ؛ وما يتمتع الأشرار ببنى ، إلا تمتع به الأخيار وزادوا عليه رضا الله ؛ وتاريخ الإسلام يفيض بأروع الأمثال في عفة الحاكمين ، وعدالة القائدين ، وزهد القادرين ! . . .

في الواجب الخطير ، وهو حمل الإسلام إلى الغرب ، والدفاع
عن الدين ، والحرص على تطبيقه والتقيده به ، فذلك عز الدنيا
والآخرة !

أصمير الشرياصى

المدرس بالأزهر الشريف

الضمير

« من ديوان الموازين »

ضمير المرء محكمة لديها
من الوجدان قاض لا يحابي
إذا ازدخر الضمير بكل معنى
نبيل من معانيه العذاب
قد . لم الفتى من كل حوب
وكان لقوله فصل الخطاب
أجل معنى الضمير الحى عدل
يريك الصدق مرهوب الجناح
فكن حكماً لنفسك إن أشاحت
وعنفها بمسموم العقاب
وخل اللوم بالتقريع يسرى
إليها قارصاً من كل باب
فإن أهملتها أكلتك أكلا
وأودت بالضمير إلى الحراب
إذا مات الضمير فلا صفاء
لعيشك بل بודيان الصعاب
وكنت لدى الورى شيطان إنس
شتماً بين أهلك والصحاب
أعيدك من قذى الأهواء طهر
ضميرك وأحبه حلو اللباب
وقف عند الضمير الحى قاض
وفززه بآيات الكتاب
وزك النفس من آثام عمر
مضى فى اللهو ما بين الرحاب
محمود شوق عبد الله الأيوبى

ولن يصلح الأمر اليوم إلا بما صلح به أوله ، لو كانوا
يعقلون ! . . .

— ١٠ —

هذا غول « الجاهلية » ينهش المجتمع من جديد ،
والناس — عامة وأوساطا وعظاء — فى غيهم لاهون ،
أو فى شهواتهم غارقون ؛ والكلام كثير ، والعمل قليل ،
وكأنما فقدت الألفاظ دلالتها أو تأثيراتها ، فأصبح الدين
كالتاريخ يدرس أو يعرض ، ولكنه لا ينفذ ولا يطبق ؛
وما أشد حيرة الداعى إلى الإسلام حين يحتال للقضاء على
غول الجاهلية الرهيب ، وكيف والغول فى يده أسلحة
الشهوة والجاه والشهرة والمال والمدينة والآلات والمخترعات ،
وما أعجب ولد وطاب ، من الثياب والطعام والشراب ؟ ! .
فهل من شجاع مقدم يقبل بسلاحه الروحى القاهر
ليقضم ظهر ذلك الغول الرهيب ؟ . . . أعقمت يأسلمة
اليوم عن إخراج مثل ذلك الشجاع العملاق ؟ ! .

— ١١ —

ما أشقى الإنسانية بأعدائها الذين يتظاهرون بأنهم من
أصدقائها ، يمدونها بفتات الموائد وبالى الثياب ، ويعنون
عليها بما يقدمونه — وما أتفهمه ! — بينما يسلبونها أعز
ذخائرهما من حرية وكرامة وإيمان ، وكثيراً ما يضعون لها
السم فى الدسم ، والداء الويل فى العسل ؛ والويل لنا كل
الويل من أثره المتحكمين ، وجشع المتصرفين ، وبغى
القادرين ! . . إن موطن العلة فى الجسم البشرى المتورم هنا
أيها المصلح من أخلاقنا ! .

— ١٢ —

يا مصر . . . إن فيك كثيراً مما يستوجب النجاة التقدير
بل مما يستثير الإعجاب والإطراء ؛ فيك النهضة الواثبة ، والحياة
الدائبة ، والموارد الغزيرة ، والخيرات الكثيرة ، والأيدى
القوية ، والعزائم الفتية ، وفيك العلوم والفنون والآداب
والصناعات ، ولك التاريخ الطويل العريض ، والموقع
الجليل الفريد ، ومن هنا تتضاعف مسؤولياتك ، وتكثر
تبعاتك ، وأنت لها أهل يا مصر ؛ فكونى الزعيمة المتقدمة ،
وكونى الناهلة من ينابيع المدنية الصافية ؛ ولكن لا تفرطى